العرب
الإثنين 2020/01/06
السنة 42 العدد 11578

لماذا أطفالي مختلفون.. سؤال يحير غالبية الأسر

الوراثة والبيئة الأسرية تجعلان شخصيات الأشقاء غير متشابهة

الاختلاف سمة كل طفل

تفترض غالبية الآباء والأمهات أن توفير نفس البيئة الأسرية لكل أطفالهم سيؤدي إلى تطابق طبائعهم وسلوكهم، ولكن الدراسات واكتشافات الوراثة السلوكية الحديثة تشير إلى أن الأطفال يخلقون بيئتهم الخاصة بناء على ميولهم الوراثية، بالإضافة إلى أن ردود أفعال الآباء والأمهات وردود أفعال الآخرين التي تختلف من طفل إلى آخر في نفس العائلة تؤثر على تكوين السمات الشخصية لكل طفل.

لندن - يلاحظ الآباء والأمهات اختلافات في شخصية كل ابن بمجرد تقدم الأبناء في السن، وعلى الرغم من نشأتهم في نفس البيئة وتلقيهم نفس التنشئة (النصائح والأوامر والتعليمات والرعاية والاهتمام) إلا أن كل طفل له شخصية مختلفة عن شخصية الآخر.

وأكدت الكثير من الدراسات في مجال الوراثة السلوكية أن الاختلافات في الجينات التي يرثها الإنسان والبيئة الأسرية تؤثران على العديد من المتغيرات النفسية، بما في ذلك الشخصية.

وتوصل روبيرت بلومين، أستاذ علم الجينات السلوكي بمركز الطب النفسي الاجتماعي والجيني والتنموي بمجلس الأبحاث الطبية في جامعة كينغز كوليدج لندن بالمملكة المتحدة، إلى أنه عندما يتعلق الأمر بسمات الشخصية يتشابه الأشقاء بنسبة 20 بالمئة فقط، مبينا أن سمات مثل الانفتاح الاجتماعي أو القدرة على تحمل المسؤولية مختلفة تماما بين الأشقاء، ولكن بما أنهم يتقاسمون نفس الجينات ونفس البيئة العائلية ونفس الأبوين، يبدو ذلك مستغربا.

وأشار بلومين، من خلال دراسة شملت مجموعة من الأشقاء، إلى أن الأشقاء يختلفون إلى حد ما، ولكنهم يتشابهون في شكلهم الخارجي وفي قدراتهم العقلية، أكثر بكثير من مجموعة مختلفة من الأطفال لا صلة قرابة بينهم.

وحاول بلومين والكثير من الباحثين تحديد دور الجينات والبيئة الأسرية في اختلاف سمات الشخصية وتوقعوا أن يؤثر النمو في نفس البيئة الأسرية على طباع الأشقاء ويجعلها متشابهة، إلى أن النتائج التي توصلوا إليها أثبتت عكس ذلك.

وعلق بلومين قائلا "إن البيئة الأسرية تعمل بشكل غريب، حيث أنها تجعل الأطفال مختلفين غير متشابهين"، وتساءل المختصون لماذا تؤدي التنشئة في نفس البيئة العائلية إلى اختلاف سمات الأشقاء الشخصية؟

وفي غياب جواب محدد لهذا الإشكال بلور الباحثون ثلاث نظريات، تتمثل النظرية الأولى في ظاهرة التشعب، حيث أوضح الباحث فرانك سلوي أن التنافس هو المحرك وراء التطور الاجتماعي تماماً مثلما هو في الطبيعة، ويشمل ذلك تنافس الأشقاء ضمن الأسرة الواحدة على محبة آبائهم وأمهاتهم ووقتهم وانتباههم.

وأضاف موضحا "يتمثل دور التشعب في التقليل من المنافسة حتى لا تكون مباشرة. وهذا يؤدي إلى التخصص في مجالات مختلفة، ولذلك إذا كان هناك طفل في العائلة متفوقا في الأمور الأكاديمية، يعمد الطفل الآخر، لكي يتجنب التنافس المباشر، عن قصد أو عن غير قصد، إلى التخصص في مجال مختلف. وهذه الظاهرة يسمّيها علماء النفس بإعادة تغيير الهوية".

ومن جهة أخرى تقول نظرية البيئة غير المشتركة إن الأشقاء في الظاهر يتشاركون في البيئة نفسها، ولكن الأمر ليس كذلك إذ لا يختبر الأشقاء الأمور نفسها.

وبينت الباحثة في جامعة بنسلفانيا سوزان ماكهيل أن الأطفال يترعرعون في أجواء أسرية مختلفة، لأن معظمهم يختلفون في العمر باستثناء التوائم، لذلك فإن التوقيت الذي يكبرون فيه ضمن العائلة هو توقيت مختلف.

وأشارت إلى أنه مع الوقت قد يحدث أن يخسر أحد الآباء وظيفته أو قد يحدث طلاق بين الأبوين أو قد يصاب أحد الأبوين بمرض ما أو قد يحدث طارئ آخر في العائلة مما يؤثر على طرق التنشئة وأساليب تعامل الأب والأم مع الأبناء، منبهة إلى أن خبرة طفل في الخامسة من عمره عندما يتعرض لأي من تلك الأمور تختلف كثيراً عن خبرة طفل في التاسعة أو العاشرة من عمره.

وأضافت ماكهيل موضحة سبب الاختلاف بين شخصية التوائم أن "من النادر أن يعامل الأهل أطفالهم بنفس الطريقة، حتى لو أرادوا ذلك، لأن لكل طفل حاجات واهتمامات ومزايا شخصية مختلفة، تتطلب معاملة متفاوتة من الأهل؛ فالطفل العنيد، مثلاً، يتطلب معاملة مختلفة عن الطفل المطيع الذي يلتزم القوانين، والطفل الخجول يتطلب تشجيعا أكثر من الطفل المنطلق اجتماعياً. وكل هذه العوامل تدفع إلى تواجد بيئة عائلية مختلفة من العواطف والحب والحنان والمراعاة قد تفسر اختلاف طباع التوائم، بالرغم من ولادتهم ضمن نفس العائلة، وفي نفس التوقيت، وبالرغم من امتلاكهم نفس اللائحة الجينية الشخصية".

ومن جانبه قال الكاتب جيفري كلوغر في كتابه "أثر الأخوة: ما الذي تكشفه عنا العلاقات بين الإخوة والأخوات"، إن الأهل لا يتعاملون بطريقة مختلفة مع أبنائهم فحسب، وإنما يتعاملون معهم بطريقة تفاضلية، فحوالي 70 بالمئة من الحالات يفضل الأهل فيها طفلاً معيناً على سواه من الإخوة سواء اعترفوا بذلك أم لم يعترفوا، ويترك هذا التفضيل آثاراً نفسية مختلفة على جميع الأشقاء، منها ما هو سلبي ومنها ما هو إيجابي مما يعزّز الفوارق في سماتهم الشخصية.

وتشير نظرية المقارنة إلى أن العائلات هي مراكز للمقارنة حيث تتم المبالغة حتى في الفوارق البسيطة بين الأشقاء، وتقول ماكهيل موضحة "تخيل طفلين مولودين في نفس العائلة، حيث أن الأول منطلق إلى أبعد الحدود، بينما الثاني مجرد طفل اجتماعي. وقد يعد الطفل الثاني، في أية عائلة أخرى، منطلقا كثيرا ولكن في تلك العائلة بالتحديد يكون طفلا منغلقا بالمقارنة مع أخيه. وبمجرد إلصاق صفة منغلق على الطفل، حتى لو كانت خاطئة تماماً، تؤثر على الخيارات التي يتخذها لاحقاً. ويظهر ذلك في إنجازات الطفل المدرسية عندما تتم مقارنته مع أخته أو أخيه الذي يتفوق عليه في الدراسة، مما يعطيه شعورا بالفشل والإحباط وهو ما سيؤثر على سلوكه في المستقبل". كما أفادت بأنه لتجنب المقارنة يختار الأشقاء مجموعات مختلفة من الأصدقاء، ويمضون أوقاتهم بطريقة مختلفة مما يسهم في بروز الفوارق في شخصياتهم، وكلما مضى الوقت اتسعت الاختلافات بين الأشقاء.

> سمات مثل الانفتاح الاجتماعي أو القدرة على تحمل المسؤولية متفاوتة تماما بين الأشقاء

ويرى خبراء علم النفس أن معظم الخصائص النفسية المشتركة بين الأشقاء تتراوح بين 0 و2 بالمئة فقط، ونبهوا إلى أن معاملة الوالدين هي التي ترسم الشخصية، ومن ثمة تختلف من طفل إلى آخر حسب ترتيبه في العائلة.

وأوضح المختصون أن الطفل الأول هو التجربة الأولى للوالدين، لذا تكون شخصيته متأثرة بتجاربهما في تربيته، ورغبتهما في مثاليتها، وتنشئته كمسؤول. وتكون النتيجة ميل شخصية الابن الأكبر في معظم الأسر إلى الكمال، والتميز لإرضاء الوالدين، كما أنه يكون منظما ومؤدبا، وفخورا بذاته ويميل إلى التحكم والسيطرة والقيام بدور الموجه لأشقائه.

أما الطفل الثاني فإنه يتمتع بسمات مختلفة، فقد يتعرض لرعاية أقل حدة، لتجربة سابقة، ولزيادة أعباء على الوالدين، لذلك غالبا لا يسعى الطفل الأوسط إلى الكمال والتميز ويشعر بقلة الاهتمام، مما يدفعه إلى الشعور بالحاجة إلى الانتماء ويجد ذلك في الأصدقاء، وهو بذلك يتميز بقدر من العناد يفوق شقيقه الأكبر.

ويكون الطفل الأصغر في أغلب الأحيان مدللا من قبل الوالدين، وبالتالي تكون شخصيته أكثر انفتاحا، ويتمتع باستقلالية أكثر مقارنة بأشقائه، وربما الأنانية بسبب التدليل وسهولة الحصول على ما يريد خاصة إذا كان والداه كبيرين في السن، إذ غالبًا ما يشعران بالخوف عليه.

وأكد بلومين أن "الأطفال ليسوا قطرات من الطين تشكل كيفما نريدها. يمكننا توجيه خبراتنا وتقديمها لهم، لكن ربما لا يمكننا تغيير سماتهم الشخصية الأساسية"، مبينا أنه من ناحية، يصعب قبول هذا كآباء وأمهات، خاصة إذا كان الطفل مختلفًا تمامًا عن أفراد الأسرة الآخرين، على سبيل المثال يكون انطوائيا في عائلة منفتحة، أو العكس. ومع ذلك على الآباء والأمهات أن يجلسوا مع أطفالهم ويسمحوا لهم بأن يكونوا مختلفين، مع بعض النصائح، ويحبوهم على ما هم عليه.

مجرد سرطان

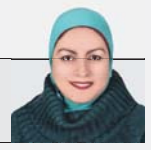

رابعة الختام
كاتبة مصرية

المرض لا يقتل، لا يؤدي إلى الموت، ليس بالضرورة أن يموت المرضى كلهم متأثرين بالمرض أو مضاعفاته، مهما كان خطيراً، لعيناً، بسيطاً.

من يموت بنزلة برد وارتفاع درجات حرارة أو حمى، أو يموت نتيجة مرض عضال، وداء مزمن، لم يمت من المرض وحده بل هناك أسباب أخرى مات لأجلها.

المنظومة الصحية في بعض البلدان مشرّفة للغاية، علاجات حديثة متوفرة على مدار الساعة، أدوية ذات فاعلية قوية، خدمات طبية فائقة الجودة، طاقم تمريض مدرب بكفاءة ومهنية، جراحات دقيقة تجرى بكل مهنية وحرفية عالية، إنقاذ بعض المرضى في عداد المستحيلات، أجل ولا أنكر هذا، لكن إنقاذ البعض الآخر قد يتحقق، أيا كانت الوسائل والطرق.

الحقيقة الراسخة أن المرض وحده لا يقتل، قد يموت أحدهم نتيجة إصابته بإنفلونزا واحتقان في الحلق، ويعيش مريضا بالسرطان، أو شخصا مصابا بأي مرض آخر لا يقل خطورة عنه.

العبرة عندي في مدى تمسك المريض بالحياة، مدى قدرته على مواصلتها وتحمل العثرات أيا ما كانت شدتها وقوة جرفها لمن حولها.

أطباء علم النفس وجهابذته، وبعض علماء الطاقة يرون أن شحن "مركز الضفيرة الشمسية" بطاقات إيجابية يهزم المرض، أيا ما كان هذا المرض.

كثيرة هي حكايات هزيمة المرض، كل الأمراض بنظري يمكن هزيمتها بالحب، ولكن من بين الحكايات قصة فتاة صغيرة استطاعت أن تمسك بيد أمها، لم تفلتها مطلقا طوال مدة العلاج. مجرد طفلة في عامها العاشر حين أصيبت أمها بالمرض اللعين، لكنها لم تستسلم مطلقا، ظلت تحارب معها، قالت لها ذات صباح قبل ذهابها إلى المدرسة، والأم تعد طعام الإفطار على عجل للحاق بجلسة العلاج "أريد أن أجدك بالبيت يا أمي عند عودتي من مدرستي، لا أستطيع العيش بدونك، ولن أقبل خلو بيتنا من ضحكتك".

تشبعت الأم بصورة ابنتها الطفلة البريئة التي تنتظر عودتها، كانت تعود من أجلها، وبعد فترة من تلقي العلاجات، اقتضت الضرورة بقاءها بالمستشفى لفترة طويلة متصلة، لكن نداء الطفلة ملأ روح الأم بتحديات كبرى للمرض، شفيت تماما وأثبتت كل الفحوصات والتحاليل خلو أنسجة جسمها وخلاياها من أي أثر للأورام.

قالت لي الأم: عدت لأحتضن ضحكة طفلتي، أعادني الله من المرض من أجلها، البقاء إلى جانب شخص يحبك ويريد البقاء معك طاقة شفاء قد تغني عن الدواء، حين تكون هي الدواء ذاته.

وبالمقابل، التضييق على الأرواح يميتها ويمرضها، تصدير الأحاسيس السلبية وممارسة الضغوط يسيئان إلى الشريك.

التلصص وتعرية المشاعر، تحريك مشاعر الكراهية والدونية والتشظي من أقبح الأحاسيس التي تصيب المريض باعتلالات شديدة الوطأة على نفسه، وربما كانت كفيلة بقتله.

من السهل للغاية أن تمرض سليما معافى، والأسهل منه أن تقتل مريضا بتحريك مشاعر الكراهية تجاهه، حين يشعر أن لا أحد بحاجة إليه.

الحب يشحن الروح بطاقات إيجابية تجعل الشخص قادرا على فعل المعجزات، جميع الأمراض أمام الحب سواء، والسيطرة عليها لا تحتاج سوى بعض المشاعر، المحب تعلو لديه جميع الطاقات الرائعة، حتى معدلات الذكاء والتطور في العمل، النجاح على كافة المستويات يزيد في حالة الحب الحقيقي، القليل من الحب يشفي المرض.

> كل الأمراض تحتاج إلى بث مشاعر الحب والطمأنينة، فهذا الدعم النفسي يساعد كثيرا تحسين مناعة المرضى

أطلق صديقي الطبيب النفسي الشاب مبادرة لتقديم الدعم النفسي لمرضى السرطان مجانا، لمشاركتهم أحزانهم والتخفيف من معاناتهم، خاصة وأن هذا المرض لا يفرق بين مرضاه، فهو يصيب كافة الطبقات بلا تمييز، وكل الفئات العمرية تقع ضحايا له، ناهيك عن ارتفاع تكلفة علاجه واستهلاكه للقدرات المادية والنفسية للمصاب والمحيطين به.

فالدراسات الحديثة تؤكد ارتفاع نسبة حدوث الأمراض النفسية بين مرضى السرطان بسبب طبيعة المرض أو بسبب بعض العلاجات، كما يلعب غياب ثقافة الدعم النفسي للمريض دورا خطيرا، حيث يعتقد بعض المتخصصين أن العلاج يقتصر على الجراحات أو الاكتفاء بالعلاج الهرموني، الإشعاعي، أو الكيمياوي.

تضمنت مبادرته مقولة رائعة "التلطيف على مرضى السرطان خصوصا لو كانوا في المراحل الأخيرة من المرض، ما أجمل أن تجعل شخصا يرحل من الحياة وهو مرتاح البال وسعيد".

لا تختلف أمراض النفس كثيرا عن أمراض الجسد، فكل الأمراض برأيي تحتاج إلى بث مشاعر الحب والطمأنينة، هذا الدعم النفسي يساعد كثيرا على تحسين مناعة المرضى لمقاومة المرض، واعتباره كنزلات البرد، مجرد سرطان قابل للشفاء.

جمال

زيت بذور المشمش إكسير جمال البشرة

قالت بوابة الجمال "هاوت.دي" الألمانية إن زيت بذور المشمش يعد بمثابة إكسير الجمال للبشرة؛ فهو يعمل على تنظيف البشرة وترطيبها ليمنحها مظهرا نقيا يشع نضارة وحيوية.

وأوضحت البوابة أن زيت بذور المشمش يحتوي على حمض الأوليك، الذي يعمل على ترطيب البشرة ويحارب أعراض الشيخوخة، وحمض الستياريك، الذي يعمل على تنظيف البشرة من حب الشباب والرؤوس السوداء، وحمض البالميتيك، الذي يحمي البشرة من المؤثرات الخارجية.

كما يعد زيت بذور المشمش غنيا بفيتامين E، الذي يتمتع بتأثير مضاد للأكسدة ويحمي البشرة مما يعرف بالجذور الحرة، التي تهاجم الخلايا وتعجّل بالشيخوخة، بالإضافة إلى فيتامين A وفيتامين B.

وأشارت "هاوت.دي" إلى أن زيت بذور المشمش له استخدامات جمالية أخرى؛ حيث يمكن استخدامه كمزيل طبيعي للمكياج أو كإضافة استحمام أو كزيت للتدليك.